الفصل الثالث

الفطام النفسي للمراهق

الفطام النفسى: هو التحرر من الأسر النفسى للعائلة، والتخلص من قيودها الإنفعالية الخاصة بعهد الطفولة، والتخلص من الانضواء الطائع تحت سلطانها كما ينضوى الطفل تحت جناح أمه، وذلك كى يصبح الشاب حرا فى إختياره عمله، حرا فى اختيار زوجته، حرا فى تكوين وجهة النظر التى يراها فى الحياة.

ففى سن العشرين: يجب أن يكون كل فتى قد ترك صفات الطفولة من الاعتماد الكلى على أبويه، أو الانسياق الأعمى لما يفرضان، بل يجب أن يكون مستعداً لمواجهة الحياة دون النظر إلى الوراء.

والفطام النفسى ظاهرة طبيعية تحدث فى إبان مرحلة البلوغ، إن لم تجد من الظروف ـ وأهمها موقف الوالدين ـ ما يعوقها عن سيرها السوى.

ـ لا يقصد بالفطام النفسى تحدى السلطة المشروعة للأبوين أو قطع الصلة بهم. أو عدم العطف عليهم والاهتمام بهم، فالفطام لا يعنى عدم الاحترام. بل عدم الاعتماد. فكثيرون ممن لم يتم فطامهم النفسى يتحدون الآباء ويتمردون عليهم كما يفعل الأطفال.

ـ كذلك لا يقصد بالفطام النفسى الانفصال عن منزل الأسرة: فهناك من يسكنون بمعزل عن آبائهم، ولم يتخلصوا بعد من مظاهر الطفولة وروابطها بالأسرة، ومن ينتظرون دوما من الدنيا أن تقوم بحمايتهم كما كان يحميهم آباؤهم من قبل.

ـ **الفطام النفسى كالفطام الجسمى عملية شاقة أليمة:** وكثيرا ما تكون مصحوبة بثورات نفسية نتيجة للصراع الذى نشب بين الماضى والحاضر، وبين العادات القديمة والتكاليف الجديدة. . فى كلا الفطامين يجد الأبناء والآباء صعوبة فى التنازل عن العادات التى ألفوها. لكن مقاومة الآباء أكبر.

وقد دلت أبحاث عدة لعلم النفس الحديث على أن كثيرا من متاعب الشباب ومشاكلهم، وانحرافاتهم، وفشلهم فى الحياة، مردها إلى قصور الفطام النفسى، وما ينتج عن ذلك من نفور وإعراض عن بذل الجهد والكفاح، كما دلت أيضا على أن المسئول عن هذا إلى حد كبير، هم الآباء إذ يتشبثون بتلك الحقوق الأبدية الخالدة التى خلقتهم عليهم طبيعة الوالديه.

• لماذا يعوق الوالدان الفطام النفسى للمراهق؟

١ - من الآباء والأمهات من يعز عليهم أن يفلت من أيديهم النفوذ الذى نعموا به زمنا، فنرى الأب لا يزال يسرف فى استعمال سلطته. أو نرى الأم قد استمرت تمعن فى تدليل ابنها وقضاء حاجاته، وحل مشاكله، وانتظار مشورته والجهد فى ألا يتسرب عطفه على غيرها من الناس.

٢ ـ أنانية الآباء وجهلهم بالطبيعة البشرية، وعجزهم عن الإقلاع عن عادات ألفوها، وسوء فهمهم أو استغلالهم لحق الأبوة. . فهم يطلبون من أبنائهم أشياء لا يمكن أن يجيبهم عليها هؤلاء، فى أغلب الأحيان يطلبون منهم. . الحب، والصداقة، والعطف، وطلب المشورة. ويؤذى أنفسهم أن يتجه الأبناء بهذه الصفات إلى غيرهم من الناس. .

وفاتهم أن رباط الدم وحده لا يكفى لخلق تلك العواطف النبيلة، وأن البيت مهما حرص الآباء مبعث لكثير من ضروب الصراع، والشد والجذب فى نفس المراهق، فالبيت فى أغلب الأحوال ليس البيئة المثالية التى يرتد إليها الفتى فى مقتبل الشباب.

ولو قنع الآباء من أبنائهم فى هذا العهد بقدر من العطف الذى لا تشوبه كراهية أو خوف لكان للآباء فى هذه القسمة كسب كبير.

٣ ـ تصبح مشكلة الفطام النفسى أعقد وأعسر إن كان المراهق وحيدا فى أسرته أو كان أصغر إخوته، أو كان لا ينعم بصحة سليمة، كما تكون أعقد عند البنات منها عند البنين. ومهما يكن من أمر فليذكر الآباء (الذين يعطلون الفطام النفسى) أن أبناءهم سيحملونهم فيما بعد مسئولية فشلهم فى الحياة. فلا يكون جزاؤهم من الأبناء إلا كراهية واحتقار وحقد دفين.

• مضار عدم الفطام النفسى للمراهق

أ ـ الشخص الذى لم يتم فطامه النفسى فى أسرته، يتوقع من رئيسه فى العمل التغاضى عن زلاته، والتسامح، والتساهل معه. فإن لم يجد فى الرئيس ما يرجوه فقد يثور عليه أو يتحدث عنه بالسوء، أو يأخذه الحنق والشعور بالظلم، ويتكون فى تفكيره وتصرفاته غير ما يرجى من أمثاله، وتكون العاقبة فشلا أكيدا.

ب ـ اذا تزوج الشخص الذى لم يتم فطامه النفسى (شابا كان أم فتاة) فإنه يتوقع من الزواج ما كان يعهده فى المعاملة من أبويه. فإن كان الأبوان من الصنف اللين المتهاون، انتظر الأبناء (ذكورا أم إناثا) من شركائهم فى الزواج التدليل والترفيه والتسامح رغم ما يسببه لهم هذا من الضيق والأذى وعدم الرضا.

وإذا كان الأبوان من الصنف المتسلط المستبد، يطلب الأبناء من شركائهم فى الزواج التربية والإرشاد وحمل مسئوليات البيت وتعهد الأطفال.

جـ ـ ويحدث أن ترفض الفتاة ترك الأسرة عند الزواج أو المدينة التى تقيم بها أسرتها أو يحمل الزوج زوجته على السكن مع أسرته، مما يسرع بالحياة الزوجية إلى الفشل.

د ـ ومن مظاهر عدم الفطام النفسى أن يميل الفتى إلى الزواج من امرأة تقارب سن أمه، وأن تميل الفتاة إلى الزواج من رجل يقارب أباها فى السن، وكل ينزع ألا يحيد عن تلك العادات التى ألفها، والروابط التى درج عليها فى طفولته، وأمثال تلك الزيجات عرضة لفشل محتم. فالعلاقة بين الأزواج تختلف فى طبيعتها عن الصلة بين الطفل وأبويه، ولا يمكن أن تكون على غرارها، وكل محاولة فى هذا السبيل مغالطة، وتحدٍّ لقوانين الطبيعة البشرية.

• **وأخيرا: صفات من لم يفطم نفسيا:**

فى دنيا الشباب نفر غير قليل لا يزالون يتشبثون بكثير من صفات الطفولة وعاداتها ومميزاتها لهم لا يستطيعون التحرر مما كانوا ينعمون به أطفالا من الأمن، والسرور، وحماية الأبوين والانسياق الصبيانى فى تيار الحياة الأسرية. بل لا تزال تلازمهم مظاهر الطاعة والخجل والخضوع أو التمرد والاندفاع والأنانية التى يتميز بها عهد الطفولة.

وهم فوق ذلك، ينتظرون من الناس التسامح والتساهل فى المعاملة، وهذا ما كانوا يعهدونه وهم صغار فى آبائهم. كما يهربون من تحمل التبعات ومواجهة مسئوليات الحياة، ومنهم من يستبد به الحنين إلى البيت والوالدين، فلا يطيق الاغتراب أو السفر أو الانفصال الذى تقتضيه الحياة الزوجية.

هؤلاء الكبار، لم يشبوا بعد عن الطفولة، وإن كبرت أجسامهم وأحلامهم، فهم لا يزالون يعتمدون على آبائهم كما يعتمد الرضيع على لبن أمه، ويعوزهم الكثير من الأحداث وبعبارة أخرى فهؤلاء لم يفطموا بعد نفسيا.

• **بعض اتجاهات الآباء نحو أبنائهم المراهقين:**

يلجأ الآباء إلى بعض الأساليب فى معاملتهم لأبنائهم المراهقين غير مراعين أنهم أخطأوا، وأن أبناءهم قد تخطوا مرحلة الطفولة؛ فمثلا.

١ ـ لا يعجبهم تصرف المراهق فى مسألة علاقته بالجنس الآخر.

٢ ـ يحاولون منع المراهق من المغامرة خوفا من الخطأ.

٣ ـ ينكرون على المراهق أى محاولة للكسب فى هذه السن المبكرة.

٤ ـ يكررون أمام المراهق مقدار ما عانوه لتربيته.

٥ ـ إحساس الآباء بأن المراهق ما زال غير قادر على تحمل المسئولية، واختفاء هذا الإحساس على المراهق نفسه مما يدفعه إلى الإحساس بالقصور والاتكال الدائم على الآباء.

٦ ـ تكرار الكلام عن احتياج الآباء لأبنائهم المراهقين، وضرورة عدم ترك الوالدين لا سيما فى حالة الآباء كبار السن.

٧ ـ استمالة الأبناء للبقاء بجوار والديهم بوعود مالية.

ماذا يحب المراهقون أو يكرهون فى أهلهم:

لا تختلف الصفات التى يحبها المراهق فى والديه عن نظرتها التى أحبها فى عمر مبكر. فالمراهق يحب أن يتقبله والده كما هو، وأن يعامله بعدل، ويحترم شخصيته المستقلة. وعلى الرغم من تشعب اهتمامات المراهق خارج المنزل، وتعدد خططه المستقبلية والخاصة فإنه يتلهف إلى المناسبات التى يستطيع فيها أن يؤكد ولاءه العائلى، ويحققه بشكل شخصى. كالمشاركة فى الاحتفالات العائلية وتبادل الهدايا مع أفراد الأسرة وغيرها.

إلا أن المراهق قد يرفض أمورا كثيرة فى أهله، وفيما يلى الأمور التى يكرهها المراهقون فى الأم التى توصل الباحثون إليها من خلال دراستهم فى هذا المجال:

١ ـ تأنيبها للابن لعدم مراعاته آداب المائدة.

٢ ـ انتقادها للعادات الشخصية.

٣ ـ مقارنتها أحد الإخوة ودعوته إلى التشبه به.

٤ ـ متابعة نتائج امتحانات ولدها وتوبيخه بسبب درجاته المنخفضة.

٥ ـ اعتراضها على السهرات الليلية مع الزملاء.

٦ ـ إكراه الابن على تناول أطعمة لا يحبها.

٧ ـ تدخلها فى الشئون المالية لولدها.

هذا، بالإضافة إلى صراعات أخرى مثل تدخل الأم فى اختيار المهنة، وإصرارها على متابعة دراسته.

ومن خلال دراسات أخرى على الفتيات تبين بالإضافة إلى النواحى المذكورة، تذمرت الفتيات من تدخل الأم فى طريقة لبسهن، وبعلاقتهن الشخصية مع الأصدقاء والصديقات.

• أسباب خلاف الأمهات مع بناتهن المراهقات:

تشير الدراسات إلى ميل الأمهات للاهتمام بمشاكل البنات أكثر من اهتمامهن بمشاكل الأولاد، ربما يرجع قلق الأمهات على بناتهن إلى:

١ ـ خوفهن من عجز الفتيات نحو اختيار الزوج الملائم.

٢ ـ عجزهن عن الهرب من المأزق الذى يعترض مسلكهن مع الأولاد.

وعمـوما إن الأمهات لا يـبدين ثقة كبـيرة ببناتهن ولا بقـدرتهن على تحمل المسئوليات.

• دور الوالدين فى تيسير الفطام النفسى للمراهق:

١ ـ على الوالدين أن ينظرا إلى موضوع الفطام النفسى نظرة جديدة عن الميل والأثرة والهوى، وأن يأخـذا لهذا الأمر عدته من عهـد الصغر حتى تكون عـملية الفطام سهلة.

٢ ـ على الوالدين أن يساعدا على أن تكون عملية الفطام تدريجية، حتى لا يكون فيها عناء نفسى للمراهق وللأبوين فيما بعد.

والحق أن الأسلوب الذى يتبعه الآباء فى تنشئـة أبنائهم وهم صغار قد يهوِّن الفطام أو يجعله أمرا يسيرا أو يعطله تماما.

٣ ـ على الوالدين أن يقوما بتعويد الطفل الاسـتقلال والاعتماد على النفس منذ الطفولة.

ـ فالـطفل فى سن السادسـة لا يزال عاجـزا عن أن يشرب اللبن وحـده فى كوب.. والذى فى سن السادسة لا يستطيع أن يلبس ملابسه بنفسه، والذى تأخذه سورة الغضب إن خـرجت أمه وتركته فى البيت، أو الذى لا يقـدر على السير فى الطريق إلا ممسكا بذراع أبيه.

ـ وطفل السـابعة الذى لا يزال يسـمح لأمه أن تطعـمه، والذى لا يسـتطيع النوم بمفرده ليلا.. كل تلك الأمـثلة يتنبأ لها علم النفس بشباب ضـعيف، وفشل محتمل فى الحياة.

٤ ـ على الوالدين أنفسهما أن يخلفا لأنفسهما اهتمامات خارجة عن دائرة أبنائهم. كى تكون لهم تسالى ومشاغل تستطيع أن تسد الفراغ الذى يحل بحياتهم عند الفطام النفسى لأبنائهم.

٥ ـ على الوالدين أن يكونا متفهمين لرغبة المراهق فى الاستقلال وإحساسه أنه قد كبر، وبرغبته فى التجربة والتعلم من هذه التجارب؛ ولذا فعليهما أن يكونا مستعدين لتقبل فكرة هذا الاستقلال، ولتحميل المراهق جزءا كبيرا من المسئولية ليتعلم من أخطائه ونجاحه.. مع عدم التخلى عن رعاية تصرفاته لأن ذلك له أهمية كبيرة فى نجاح تربية المراهق.

٦ ـ على الوالدين عند تقديم النصيحة للمراهق أن يقوما بشرح أسبابها وأهميتها للمراهق ووجهة نظرهما فى فوائدها والأضرار الممكن حدوثها إذا خالفها، فالمراهق أصبح كبيرا لا يحب أن تصدر إليه الأوامر.